بسم الله الرحمن الرحيم

المُستهل

الحمد لله تعالى، معلِّمِ العلماء، وناصر الفقهـاء، ومصـدر كل علم وفتح وعــز، وأصــلي وســلم على محمد الأجل الأعز، من شرح الله صدره ونـور علمه وفكـره، وعلى آله وصحبه الأفـذاذ الأنجـاب، من وعـوا حق الكتـاب، وسـاروا على منـارات الصـواب، وسـلم تسـليماً كثـيراً إلى يــوم اللقاء والحساب.

أما بعـــد...

فاسـتوقفتني آية قرآنية جليلـة، بفضل نعمة التـدبر والاسـتذكار، في ذكر طالوت وداود عليه السلام في سورة البقرة، حين قال نبي بني إسرائيل لهم **(إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَـالُوتَ مَلِكـاً قَـالُوا أَنَّى يَكُونُ لَـهُ المُلْـكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَـقُّ بِالْمُلْـكِ مِنْـهُ وَلَمْ يُـؤْتَ سَعَةً مِّنَ المَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالْجِسْمِ). (البقرة :247)**

فشدتني كلمة (**بسطة**) ورأيت أنها كلمة مدح وعز وشرف، لابد لها لكل عـالم عامـل، وقائد فاضـل، لاسـيما من يضـطلع بهمـوم الأمة ومشكلاتها وأشجانها.

فلم يؤته الله مجـرد العلم فحسب رغم علـوه وجمالـه، ولكن جعله علماً مبسوطاً وفقها منشوراً، وحكماً ممدوداً .

والبسطة في اللغة، أو من مد لولائها السعة والغزارة والبسطة في اللغة الفضـــيلة، فهو علم فضـــيل ومبســـوط، وفي القـــرآن **(اللَّهُ يَبْسُـطُ الـرِّزْقَ لِمَن يَشَـاءُ وَيَقْـدِرُ) (الرعد : 26)**. أي يوسع رزقه على من يشاء.

وقـال تعـالى : **(وَلَـوْ بَسَـطَ اللَّهُ الـرِّزْقَ لِعِبَـادِهِ لَبَغَـوْا فِي الأَرْضِ) (الشورى : 27).**

أي يضـــــبطه، فيوســـــعه على بعض، دون بعض، لتلا يحصل البغي والعدوان **(إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (الشورى : 27).**

والمقصد أن كلمة (البســـطة) كلمة جذابة في الحيـــــاة العلمية، ويحتاج إليها كثير من العلماء العـاملين، والـدعاة

المثـــابرين، لأنها علامة النبـــوغ، وبابة الصـــدارة، ورمز القيادة، ومفتاح الوصول والتأثير.

ولهذا أحببت أن أذكر دلالات ومنـارات لهـذه البسـطة العلميـة، وأن حيازتها ليست كلمة تُـدّعى، ولاشـهادة تُنـال وتكتسـب، دون توفيق وجدو بذل ومعاركة.

وقد قال تعالى : **(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) (البقرة : 63).**

وقـــال ابن عطا الله الســـكندري : (من لم تكن له بداية محرقة، لم تكن له نهاية مشرقة).

ولـذلك الله تعـالى هو العليم الحكيم، وبيـده مفـاتيح العلم والرحمة والنـور والفـرج، ولكنه أمر عبـاده بالسـعي والعمل والـدأب، لكي يبلغوا معالي الأمور، ومحاسن الأشياء.

قال **(فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَـةٌ لِّيَتَفَقَّهُـوا فِي الدِّينِ) (التوبه : 122)**.

وهذا النفر متضمن للسفر وحصـول التعب، والشـدة، والمعانـاه كما لاقاه سلفنا الصالح، والفضلاء من بعدهم، لاقوا شدةَ وعنتاً، فصـبروا واحتسـبوا، حـتى أصـابوا ما أصـابوا من الخـير والسـعة والنـور والبسـطة، وخلفـوا لنا الـتراث الثمين، والكنـوز البـاهرة، والـدرر الفاخرة، التي تعجز الجامعات حالياً عن مضاهاتها، أو تحقيق بعضـها تحقيقاً علمياً فريداً، ولا حول ولاقوة إلا بالله.

هذه المنائر دعوة للعلماء والطلاب أن يحسّـنوا من جـدهم، ويرتقـوا بهممهم وعزائمهم، وان لا يكتفوا بالقليل في ذلك.

لأن الإنسـان لايـزال يتعلم حـتى الممـات، **كما قـال أحمد رحمه الله (مع المحبرة إلى المقبرة).**

وقال سفيان الثـورى رحمه الله (لانـزال نتعلم ما وجـدنا من يعلمنا).

وقال ابن المبـارك رحمه الله : (**لا يـزال الرجل عالمـــاً ما طلب العلم، فـــإذا ظن أنه قد علم فقد جهل).**

فهلهوا إلى تلك المنـائر لنقفـوَ أسـبابها، ونأخذ بقوائمهـا، لنشد على ظهورنـا، ونـرتقي بعزائمنـا، والله الموفـق. والمسـئول أن يسـدد الخطى، ويبـارك في الجهـود، ويصـلح النيـات، إن ولي ذلك والقـادر عليه.

ليلة الأحد 19/ رجب 1430

12/7/2009م.

طريق الوصول

البسطة العلمية أمنية كل باحث، حـريص على العلم، ومحب للمعرفة، وسـاعٍ إلى اللـه، يقـرأ ويـدقق، ويسـأل وينقب، ولا يـزال متصـلاً بـالكتب يشـتريها، ويـذوب في حبها والحفاظ عليها، ومن عـرف قـدر العلم، هـان عنـده بذله، وماله وجده وجهاده !

بل أيقن أن العلم يحتـــاج إلى المزيد من الـــوقت والبـــذل والسخاء والحزم والتضحية، لأنه باب إلى السـعادة، وصـفاء الـروح، وكما قيل :

فلو قد ذقت من حلواه طعماً لآثرت التعلم واجتهدتا.

ولكن هذه البسطة تنال بتوفيق الباري المنان **(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَـــةٍ فَمِنَ اللَّهِ) (النحـــل: 53)** وبالســـعي الشـــديد، والهمة المتطلعــة، والطلب المســتديم، والقربة الرقيقــة، والــدعاء الملح، وايثار العلم على المحاب واللذائذ، والرسـوخ الطلـبي، وأخواتها من الأسباب الموصلة، والطرق المنتهية إلى البسـطة العلمية بـإذن الله تعالى :

ومن لم يتشبث بمثل هذه الأسباب والطرق، قلّ علمه، وهـان فقهـه، ورقت أحاديثـه، وبـات شـيخاً بلا وسـام، ومـدعياً بلا إثبـات، وناطقاً بلا حجة، ومتشبعاً بما لم يعطَ **وقد صح قوله صـلى الله عليه وسـلم : (المتشـبّع بما لم يعط كلابس ثـوبي زور) أخرجاه.**

منائر البسطة العلمية

الشخصـية المبسـوطة علميـاً، تسـتبين عليها منـائر وضـاءة وتشـرق عليها دلالات وبـراهين، لا يمكن تجاهلهـا، وهي تعكس حالة تمكنية وإتقانية لدى ذلك الإنسان المبرِّز، وسماع جمل محـدوده من المتحـدث المعـني، تـبين لك بوضـوح مـدى أهليته واتسـاعه وحذقه وبروزه، وإلا كان النقاد والشـهود غـير واعين ولا عقلاء، **وقد قـال صلى الله عليه وسلم.. (أنتم شهود الله في أرضه).**

ولا يمكن لأحد أن يدعي العلم بلا تحدث أو نطق أو تـدريس أو إفتاء، أو توقيع وتأليف وتبـيين، لأن العلم بـذل وإعطـاء، وليس بخلاً واحتباسـاً، كما قـال الله : **(لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَـهُ) (آل عمران : 187).**

والعملية التبيينيـــة، كاشـــقه لكي متمكن أو دعيّ، ينزل في غير رحلـه، أو يـرتقي غـير مرتقـاه، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، ومن تواضع لله رفعه، والاعتراف بــالحق فضــيلة، وقــول لا أدري نصف العلم، ومن تركها أصيبت مَقاتله...!!

وأما المنائر فكالتالي :

(1) التدفق العلمي :

لما كانت البسطة اتساعاً وغـزارة، سـعيها جد ومهـارة، كـانت النتيجة طبيعية، توحي بالدفق الغزير، والنشر الباذخ، والإفتاء الدائم، وتجاوز المعضلات، وحل العويصات، وهـذا هو عين التمكن المـورث لانبساط علمي، وغزارة فقهية وسيعة.

وهذا التـدفق إما أن يكـون مقصـوراً على علم واحد كالتفسـير مثلاً وقضايا القـرآن وموضـوعاته، وإما أن يكـون موسـوعياً شـاملاً لكل الفنون الشرعية.

والأقرب والأحسن أن يكون شاملاً متفنناً لسـائر الفنـون الشـرعية، النابعة من الوحيين الكريمين وصوره كالتالي :

(1) **وعي معاني القرآن والسنه ودلالاتهـا، والاطلاع على المعاني والأسرار.**

(2) إلمامه بأصـــــول العلـــــوم الشـــــرعية ومراجعها وشروحاتها.

(3) حسن اســـتنباطه واســـتخراجه للفوائد العلميـــة، والنكات الفقهية.

(4) فهمه لكلام الأئمة المحققين، ودايته بالمســـــــائل الخلافية والإجماعيه بين الناس.

(5) مشـــــــاركاته في جميع المناشط العلمية والدعوية والتربوية.

(6) استطاعته على توظيف العلم الشرعي الموروث في استيعاب النوازل، والقضايا المستجدة والحديثة.

(7) انتشـــار بســـمعته العلميـــة، ومجـــده الفقهي عـــبر الدروس والمحاضرات والمشاركات العلمية الطيارة.

وهـذا التـدفق إنما تم له عـبر تأسـيس علمي راسـخ، واطلاع فقهي متـوهج، اسـتطاع من خلاله أن ينشر فضـاءه الـدعوي على أمـاكن كثـيرة، فـأدى نعمة البلاغ، وأثابه الله حسن الصـيت، وجمـال الـذكر كما قال تعالى : **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُـوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة : 11)**.

وأي رفعة أعظم من رفعة العلم، والمتقلـدة لتـاج الشـرف، ووسام العز والسلطنة، حيث يغرس الله في قلوب ناظريهم، الهيبة والإجلال والتوقير.

كما قال بعضهم في إبراهيم النخعي رحمه الله :

(**إنْ كنا لنهاب إبراهيم، أشد من هيبتنا الأمير)**!!

وهذه ثمرة من ثمرات العلم الخالص، والفقه البسيط المديد.

ومن عجـــائب العلم، أن تدفقه بالنشر والبلاغ، يزيد من اتســـاعه وبركته، لاسيما مع الإخلاص كما قالوا (**زكاة العلم بركته**).

وقال الاليبري :

يزيدُ بكثرة الانفاق منه وينقصُ إنْ به كفاً شددتا

فتخيل أن البسطة مورثة للتدفق المثمر، للتوسع والنضج والغـزارة، وهـذا شئ عجيب لا يفقهه إلا من ذاق حلاوة العلم، ومـارس متـون تدريسه وتبليغه. فعلى سبيل المثال كان الإمـام ابن المبـارك رحمه الله يتكلم في كل فن، وجمع الخـير من أبوابـه، **قـال الحسن بن عيسى، قال: اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبـارك مثل الفضل بن موسـى، ومخلد بن حسـين، ومحمد بن النضر فقالوا : تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبـواب الخـير، فقالوا : العلم، والفقه، والأدب، والنحو، واللغة، والزهـد، والفصـاحة، والشـعر، وقيـام الليـل، والعبـادة، والحج، والغـزو، والشـجاعة، والفروسـية، والقـوة، وتـرك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف، وقلة الخلاف على أصحابه.**

وقال ابن دفيق العيد في شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله (رأيت رجلاً العلوم كلها بين يديه، يأخذ مايريد، ويـدع ما يريد).

(2) وعي الصواب :

قال تعالى : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) (الأنبياء : 79).

والمعنى هنا بلوغ الصواب، وإدراكـه، لأن البسـطة اطلاع تـام، وغربلة للمسـائل، وفحص للاتجاهـات، مما يعـني الوقـوف على كل المآخذ والأدلـة، الـتي تسـتنتج بـإذن اللـه، بعد التجـرد والإصـابة، والتوفيق لحسن الفهم والترجيح.

ولا يمكن لفقيه جـزئي، تـربى على مدرسة واحـدة، أو درس اتجاها فريـداً، أن يبلغ الحـق، أو يعي الصـواب، فضـلاً عن أن يحـوز مزاهر ذلك الحق وأفنانه.

<u>ولـذلك الفقيه في مسـائل شـرعية يحتـاج إلى عـدة مقدمات منها :</u>

(1) **الاطلاع على سائر المذاهب الفقهية الأربعـة،** مضـافاً إليها ابن حزم في المحلي، وابن عبد البر في التمهيد وابن رشد في بداية المجتهـــد، وابن تيمية في الفتـــاوى وغـــيرهم من الأعلام المحققين.

(**2) فقه استدلالاتهم ومآخذهم البرهانية ومـدى صـحتها، وإفادتها للمعنى المراد**.

(3) **حذق القواعد والمقاصد الشـرعية، وما يُسـمى بفقه المآلات المستضيئة** بأنوار الشريعة وقبسات الوحي.

ولـذلك كـان أحسن الأئمة كلامـاً في العلم المطلعـون على سـائر المـذاهب، والجـامعون لكل الفـرق والأطيـاف، نحو النـووى وابن الصـلاح والعيـني ابن حجـر، وابن عبد الـبر وابن تيمية وابن القيم والطحاوي وابن رجب، وأشباههم من الأئمة الكبار، المحققين.

والصـواب إنما يـوعى بقفو مقدماته الدالة عل الدقة وحسن النظر والجمع والتناول، بحيث لا يعزب عن النظر شـاذة ولا فـاذة، لأن من حفظ وعرف، حجة على من لم يحفظ ويعرف.

ولا انتقائية أو نسـبية توصل إلى الصـواب في الغـالب ! بل لا بد من البحث الشـامل، والاسـتيعاب الطـاغي، المـورث للنظر الكامل والنتيجة المتأملـة، لأن النـاس متفـاوتون في عقـولهم ومعلومـاتهم، ولابد من الأخذ من الجميع والإصغاء للكل.

وقد قال أيوب بن أبي تميمة السختياني رحمه الله.

(لا يعرف الفقه، من لم يشم أنفه الخلاف).

وكل مسـألة خلافيـة، لا يمكن وعيها أو إدراكها عن طريق رأي أو مـذهب واحـد، فضـلاً عن إدراك الحق فيها ! إذن فلابد من الاطلاع الشامل لكل الرؤى العلمية والفكرية.

(3) المراقبة الروحية:

:قال تعالى : **(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فـاطر : 28)..**فكل علم تورث الخشية، فـإذا انضـاف الله السـعة والغـزارة، ارتقى به الايمان، ورسخ اليقين، وتعززت معـاني الخشـية والخـوف من الواحد الأحد كما قال عز وجل..

(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) (الرحمن :46).

فلا يبدي أو ينمي الا خيرا، ويحذر من توريط نفسه في فتوى جاهلة، أو توقيع رخيص، أو ممـالأة مفضـوحة، بل يصـون نفسه ، ويحفظ علمه **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً)(الطلاق : 2)**

لأن زيـادة العلم نـور في القلب ، تـورث الخشـية والمهابة من الله تعالى :

قـــال عز وجل **(إِنَّ الَّذِينَ أُوتُـــوا العِلْمَ مِن قَبْلِـــهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُـجَّداً* وَيَقُولُـونَ سُـبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) (الاسراء : 107-109).**

وهكذا العلم الرباني، يفيض في النفس أنوار الروحانية والزهد والرغبة فيما عند الله، فتؤثر الحق على الهوى، وتطلب الآخرة على الأولى وتؤثر الهدى على الضلال، ولا يمكن له أن يتكلم بالباطـل، أو يفتي بالجهالة.. حتى ولو قدموا له الأموال والاغراءات.

كما قال سليمان عليه السلام، لما وصلته هـدايا بلقيس **(فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَـالٍ فَمَا آتَـانِيَ اللَّهُ خَيْـرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) (النمل : 36).**

لولا المراقبة الداخلية، المصبوغة بعنفـوان الإيمـان، لما حصل هذا السخط من الفتنة الدنيوية وآثر العبد الصالح ما عند الله تعـالى :

(إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) (ص : 46).

وهـــذه من أجل ثمـــرات العلم، أنه يـــورث في قلب صـــاحبه الخشية لله فيجعله عالمـاً صـالحاً، متورعـاً عن كثـير من الشـبهات والمخالفات لا يبيع علمه بعرض من الدنيا يسير، وقد ضــرب الله لنا مثل علماء السوء في القرآن ، وكيف انتهى بهم الحال إلى المصــير الأبـأس، والمـآب الأسـوأ **(وَاتْـلُ عَلَيْهِمْ نَبَـأَ الَّذِي آتَيْنَـاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّـيْطَانُ فَكَـانَ مِنَ الغَـاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَـعَ هَـوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَث ذَّلِـكَ مَثَـلُ القَـوْمِ الَّذِينَ كَـذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُـصِ القَصَـصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(الأعراف : 175-176).**

وفي البســـطة العلمية مواعـــظ، ومواقظ لصـــاحبها، تحـــرك شجنه، وتفيض دمعه، وتسـكن روحـه، وتشـعل حماسـه، وتلهب من غيرته، ليقوم بهذا العلم خير قيام **(وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ**

بِهِ لَكَـانَ خَيْـراً لَّهُمْ وَأَشَـدَّ تَثْبِيتـاً * وَإِذاً لَّآتَيْنَـاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيماً * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً) (النســاء : 66-68).

(4) النظرة الشمولية :

إذ إن العــالم بالبســطة العلمية يتجــاوز ظلــه، وحــدود أفقه وسيره، ومكانه وزمانه، ويبيت واسع الأفق، عميق النظرة، شـمولي الرؤية.

وهــذه من فوائد العلم البســيط الممــدود، الــذي يغـوص في بحــار الكتب، ويصيد في شتى المعـارف، ويلتقط درر الفوائد والنكـات ولا يكاد يفوت شيئاً، دقيقاً أو جليلاً.

يحس أن كل فائدة ولو عزت عظيمة، وكل أثارة متينـة، وكل لطيفة ضخمة، لأنها تشكل رؤيته السـليمة وتقـوي نظرته الواسـعة، وتـدفع يفهمه وإصابته للحق !!

وحينما ترد مسألة جديدة على العالم البسيط، تلقاه يقلبها من سائر الزوايا، ويتأملها من شتى الجهـات، ويصـرفها حسب الآراء والأفهـام المختلفة.

ولا يحاكمها إلى طريقة، واحدة !!

ويعيش سرها وأبعادها، ومقدماتها وإيحاءاتها، وكل ما تنطـوي عليـه، والنظـرة الشـمولية تتكـون من جـراء التوسع القـرائي، والانهمـاك المعـرفي، الـذي يتجـاوز الحـدود والقيـود، ويتشـبع بمعـاني الكتـاب والسنة، وفهم السلف، ومسالك الأئمة المحققين، ومنائر المتأخرين والمعاصرين.

بحيث يطالع للقريب والبعيد، ويأتي على القديم والجديد، حتى يتسع الذهن المعرفي، ويصـبح فسـيحاً طليقـاً لا يعجـزة مسـألة ولا تعوزه قضية.

وهـذا كـان بـارزاً في فقه الصـحابه رضي الله عنهم كالخلفـاء الأربعة، وأئمة التابعين.

وها هو أمــير المؤمــنين عمر رضى الله عنه كــان يسـتعيذ بالله من معضـلة لبس لها أبو الحسن علي رضي الله عنه، وهذه علامة السعة والدقة والحكمة، التي عرف بها علي رضى الله عنه.

وقد أشتهر عنه قوله :

دواؤك فيك ما تبصرُ وداؤك فيك وما تشعرُ
وتزعم أنك جِرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبرُ.

ومن ثمرات النظرة الشمولية للأشياء والمسائل مايلي :
1- إصابة الحق، والسلامة من الأخطاء.
2- الفحص الذهني المتميز.
3- الانشراح النفس البهيج.
4- الرؤية الموضوعية وإقناع المتابعين والمشاهدين.
5- تحقيق المصالح والمنافع، ودرء المفاسد والمضار.
6- تطبيق الشريعة، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان.

(5) طرح العصبية :

قـال تعـالى : **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَـاكَ خَلِيفَـةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى) (ص : 26).**

والمقصود هنا التجرد للحق، أو القلب الصافي، أو القدسية الدليلية، وهـذه آية البسـطة العلمية الممتـدة، إذ بها يتسع الأفـق، ويتعـاظم الفكر، وينزاح التعصب، ويُدرَك الخير في أمـاكن بعيـدة وغريبـة، لم تكن على البال..

فينتج عن ذلك محبة الحق والــدليل، وقفو أبوابه وســبله، وطـــرح التعصب للشـيوخ أو المـذاهب والقبائل والبلـدان ! وتـبيت السـيادة للـدليل، وأنه حينما وجـد، وبـاتت منارته فثم شـرع اللـه، ومقصـده، وغايته كما قال تعالى: **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة :111)**

وقال سبحانه:**(ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَـارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (الاحقاف:4).**

ومن لم تثمر بسـطته العلمية وفقاهته الفكرية شـيئاً من حب الحق والدليل، فلا خـير في علمه ولا بركة لـه، لأنه إعلان بالجهـل، واتبـاع للباطل، وتقديم للهوى والله يقول **(أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَـهُ هَـوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً) (الفرقان : 43)**.

وقال سبحانه : **(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) (القصص: 50)**.

والهدى يكمن في الأدلة والبراهين الشرعية، من استعصم بها قد فاز، ومن حاد عنها للمذهب، أو الشيخ والبلاد، ضل وخسر، والله المستعان.

ولذلك سعة العلم وغزارته علامة التنور، والتفهم والانفتاح، والوعي، وقلته علامة التحجر والضيق والتعصب، **ولذلك فإن له على صاحبه مضار عديدة، من أخطرها :**

1- التعصب، وعدم الانصياع للأدلة الواضحات.

2- حرمان الصواب، حيث ضيق المساحه التفكيرية والمنهجية.

3**- فقدان الوعي، لقلة أدلته ومعالمه.**

4- التصدر قبل التمكن.

5- محاكمة المسائل والناس والقضايا إلى بضاعة قليلـة، وعدة محدودة !!

ولذلك لابد من السعي الحثيث، والجهد المتعـاظم للتحصـيل، وعـدم رضا الإنسان بالمهين القليل، لأن الله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: **(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه: 114)**

ولن يأتي أحد أكثر علماً، ولا أغرز حكمة من أنبياء الله ورسـله، ومع ذلك أُمروا بالاسـتزادة من العلم، بل لم يـؤمر سـيدهم عليه الصـلاة والسلام، بشئ يـتزود منه كـالعلم وحبه وطلبـه، وهو القائل **(طلب العلم فريضة على كل مســـلم) رواه ابن ماجه وســـنده حسن.**

وكلما ازداد المرء علماً، ازداد فقهاً، ونـوراً وإيمانـاً واتسـاعاً لقبـول الحق والآخرين، وتزلزلت من فوآده، أضغان العصبية والتفرد، وحب الانتصــار والتعــالي على الآخــرين لأن تلك البســطة ســتجعل منه الشخص المستكين المتواضع، وهو المنارة الخامسة..

(6) التواضع الدائم :

قال تعالى : **(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِـينَ) (الحجر : 88).**
ومن مقالات الـتراث السـلفي المجيـد، كلمة الإمـام الشـعبي رحمه اللـه، ذلك الامـام المجتهد الواسـع، البسـيط الـذي تجـاوزت سـعة الشرعية، حتى استقرت في الشعر وقـال **: (ان من أقل علومه الشعر، ولو أراد ان ينشد شعراً شهراً، لفعل، وما كرر).**
له كلمة عجيبة يقـــــول فيها : (**العلم ثلاثة أشـــــبار، من دخل الشـبر الأول تكـبر، ومن دخل الشـبر الثـاني تواضع ومن دخل الشبر الثالث، علم أنه لا يعلم شيئا**اً).
والمرحلة الأولى في الطلب، قد يتلبس المـــــرء لبـــــاس الغـــــرور والاسـتعلاء ما لم يقض عليها بلبـاس التقـوى والخشـية، بسـبب قلة العلم، وفتنة الناس وانبهارهم، فإذا ما تجاوز تلك المرحلـــة، ولج في العمق وبـــدأ يتواضع وبتلاين، وإذا ضــاعف جهــده، وغــاص لأعمــاق المحيطات المعرفية، أدرك سـعة العلم وبُعد غـوره، فتواضع لله أتم التواضـع، بل صـرح بانه لم يعلم شـيئاً، عرفانـاً منه بسـعة علم الله وأنه لم يؤت إلا القليل، كما قال تعـالى : **(وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) (الاسراء :85).**

وفي قصة الخضر وموسى عليهما السلام كما في الصحيحين (فَجَــاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلا كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ)

<u>وإنما تواضع ذوو البسطة العليمة للأسباب التالية :</u>

1) **إيمانهم بنعمة الله عليهم، وتقـديرهم لسـعة علم الله تعالى**، وأنه أحـاط بكل شئ علمـا، وأحصى كل شئ عـدداً وهو علام الغيوب، والعليم الحكيم، وعالم الغيب والشــهادة، ويعلم ما في الأرحـــام، ويعلم ما تكن صــــدورهم، ويعلم السر وأخفى، هو عليم بـذات الصـدور، تبـارك وتعـالى وهو القائل : **(وَفَوْقَ كُـلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) (يوسف : 76).**

2) **ارتقـاء الحس الإيمـاني والأدبي لـديهم بحيث أدركـوا عظمة** هـذا العلم وما يقذفه في النفـوس، وأنه يجتمع مع الحب والرحمة ومكـارم الاخلاق وينعـدم مع الشـدة والعنف ومسـاوئ الاخلاق.

3) **شكراناً منهم لله تعالى، على ما وضعه فيهم من منائر الحكمة**، ومعالم الهداية، حيث دفعهم على سائر الناس.

كما قال : **(وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ) (يوسف: 68)**

وقـال:**(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُـوا العِلْمَ دَرَجَـــــــــــاتٍ)(المجادلـــــــــــــة:11)**

وقد قال أيوب السختياني رحمه الله (ينبغي للعالم أن يذر التراب على رأسه تواضعاً لله).

4) **لاشـتمال العلم على هـدايات الرحمـة، وأعلام الرفق والمحبة**، التي تهذب النفوس وتقيم اعوجاجهـا، حيث أن دوران العلم إنما هو حول الكتاب والسنة، وهما منبع الرحمــة، ومــوطن الأخلاق، التي تصلح الأنفس، وترقق القلوب، ولذلك قل أن تــرى عالماً غليظاً، !! وعزَّ وعظم أنه ترى علمـاء سـهلين متواضـعين، والله المان بفضله وكرمه سبحانه وتعالى.

(7) التأليف المتقن:

قــال تعـالى : **(إِنَّ خَيْـرَ مَنِ اسْـتَأْجَرْتَ القَـوِيُّ الأَمِينُ) (القصص : 26)**

وهــذا نتيجة طبيعية لبنـــاء راســخ، واتســـاع ممتــد، إذا ما قــدر له المشاركة بالتأليف، فلا شك أن مشاركته تلك ستتسم بما يلي :

1) **سعة المكنون، وعمق المسطور.**

2) **الزاد العلمي المكتوب في تلكم المسائل المطروحة**.

3) **الاستيعاب، وعدم بخس الآخرين من المذاهب حقهم**.

4**) التنوع المعرفي.**

5) **الحرص على إصابة الحـق، وعـدم التعصب أو التحـزب في جهة معينة.**

6) **الموضــوعية، والتقليل من الإنشــائيات الفارغــة، أو عديمة الجدوى.**

ولــذلك نعتقد أن هــذه التأليفــات تمر عــبر مراحل من التأســيس والبنـــاء والإعــداد، وكــثرة المشــاركة وعقد

الدروس وتربية التلاميـذ، إلى أن يشـعر الإنسـان بالحاجة الماسة للكتابة والتقييد للشرح والرد والإفتاء، والتبيان.

وهذه مقدمات ضرورية للكتابـة، أنه لابد من التمكن، وسـعة الاطلاع والمـراس العلمي، ولـذلك من اسـتعجل التـأليف ابتُلي بـالتخريف، ومن اســتأخر، أثمر ومهــر، وقد قــال الأئمة قبلنا (**من صف من فقد استُهدف).**

وهو (**كالـــذي يجعل عقله في طبق يعرضه على النـــاس**) وهذه المقدمات هي مؤشر على الإتقان والتميز قال صلى الله عليه وسلم كما عند الـبيهقي في الشـعب بسـند جيد (**إن الله يحب اذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)**

ومهم وأكيد أن يتعلم العلماء والطلاب، أن للتـأليف شـروطاً وعـدة، لابد للداخل فيه من تعلمها ووعيها، وخليق بمن ملكها ،أن يبادر إليها ليكتب بصمته، ويرسم خطته، ويشع فكره، ويقيم الحجة على إتقانه ووعيه، لا سيما إذا لم يشـارك خطابيـاً وتدريسـياً لظـروف معينـة.. فيتعين حينئذ في حقه التأليف، وهو ضرب من ضروب الدعوة ونشر الحق.

وسوق الكتاب لاتـزال راتجة هائلة هـذه الأيـام، بل فتُح على النـاس النشر الالكـتروني، الـذي يحـاول الإطغـاء على الـورقي لسـهولته، وعـدم تكلفتـه، وسـرعة انتشـاره المثـيرة، وهـذه من نعم الله علينا وعلى الناس.

وينبغي اسـتثمار مثل ذلك الفتح، لاسـيما لمن ضُـيّق عليـه، وحوصر تدرسياً وطباعياً، والله المستعان وعليه التكلان...

(8) الطمع المتزايد :

قال تعالى : (**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**) **(السجدة :16)**

يصبح العالم الفسيح مع مزاهر العلم وأنـوار الحكمـة، شـغوفاً بذلك لا يكـاد يمل أو يشـبع، كـالمنهوم واللاهث، فيسـأل الله المزيد من فضــله، والفتح من بركاتــه، والفيض من رحماتــه، لأنه في علاء إيمـاني، وتجديد روحي، وسـعادة روحية مشـرقة**، والـذي يـدعوه الى الطمع المتزايد، والجمع الفائض أمور منها :**

1) **سعة فضل الله، وطيب رحمته الـتي لا يسـتغنى عنها** عبد، فضلاً عن عالم مخبت، أو صالح زاهد.!

2) **حلاوته ولذته الآسـرة، الـتي تحمل صـاحبه** على طلب الاتساع، والرغبة في التحصـيل، وأنه مـرد ذلك إلى المـولى الكـريم **(وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا) (النحل:18)**.

3) **التهاب الهمة المكتسبة من جراء معـالي العلم**، ومنـائر البسـطة الـتي تـربي في صـاحبها حب المزيـد، وملء الـوقت بالجد والاجتهــاد، ودوام التعلم، كما هو الملاحظ في ســير أئمة الإســلام، لايزالون يتعلمون في الصغر، ومع الكبَر، وعلى سرير المـرض،وعند المــوت، ويجسد ذلك مقولة الإمــام أحمد الســالفة الــذكر، **(مع المحبرة إلى المقبرة).**

والمعنى أن لا يوجد حد للإمامة والمشيخة، أو سن يـبيت فيه المـرء معلمــاً لا متعلمــاً! وهــذا هو فقه الطلب، وسر العلم، أن يـــدرك الانســـان أن لا حــــدّ للعلم، ولا عمر لــــه، ولا يمكن الإحاطة أو الاحساس بالامتلاء، بل الشعور دائماً بالنقص والحاجة الأكيده للتعلم والفقه. كما قال تعالى : **(وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) (طه : 114)**.

وقـال تعـالى : **(وَتَزَوَّدُوا فَـإِنَّ خَيْـرَ الـزَّادِ التَّقْـوَى)(البقـرة : 197).**

ومن أجل انواع التزود، العلم الموصل إلى اللـه، والمـورث للمراقبة والخشية، وهو طريق بإذن إلى التقوى الحقيقية، والقربة الرقيقة.

وهذا مقصد حكيم للشارع أن يظل العـالم ملتمسـاً للعلم، محبأ لـه، حريصاً عليه، لأن الحيـاة وسـيعة والأحـداث كثـيرة، والفتن خطافـة، والنـــوازل متواليـــة، والعلم غزيـــر، ولا يمكن التكيف مع ذلك إلا باستمرار التزود، والشغف الطامع، لأنه حياة أخرى، وعزة للاسـلام، وهيبة للعلم، وتحقيق للأمر الرباني.

(9) الشكران المتوالي :

قال تعالى :**(اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَـادِيَ الشَّكُورُ)(سبأ :13).**

وهــذه علامة بــارزه على العــالم الصــالح، والفقيه المخلص، فخيره دائماً ذكاراً، وشـكاراً مـدركاً لنعم الله عليـه، وما أسـبغ عليه من لطائف رحماته ونفائس بركاته.

لأن العلم نعمه إلهبـة، ومنحة ربانيـة، خص الله بها أنبيـاءه وأوليـاءه الصالحين كما قال: **(وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء:113)**.

وقال : **(وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ) (يوسف: 68)**

وقـال : **(وَلَمَّا بَلَـغَ أَشُـدَّهُ وَاسْـتَوَى آتَيْنَـاهُ حُكْمـاً وَعِلْمـاً) (القصص: 14)**.

والعلمــــاء ورثة الأنبيـــاء، جعلهم الله تعـــالى معـــالمَ لهم، وحملة لمشاعلهم، وورثة يقتدون بهديهم، ويحملون تراثهم.

ومن يسـتطعم هـذه النعمة الجليلـة، لا يـزال لسـانه طيبـاً ذاكـراً، وشاكراً للمنعم المجيد، ولي الفضل ذي المن والكرم.**(وَآتَاكُم مِّن كُـلِّ مَا سَـأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُـدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُـوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم:34)**.

وشكر العالم وغيره، يكون باللسان والفوآد والجوارح ..

كما **قال الشاعر :**

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً يدي ولساني والضميرَ المحجبا

والعـالم يشـكر بـأوراده، وعباداته ويشـكر بدروسه وتعليمه وبدعوته وجده وفقهه.

وقــال تعــالى عن نــوح عليه الســلام **(إِنَّهُ كَـانَ عَبْـداً شَـكُوراً) (الاسراء: 3).**

وقال : (**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا) (سبأ :13).**

فالشكر قـول واعتقـاد وعمـل، نسـأل الله أن يبلغنا شـكره، وحسن عبادته..

وعلم نبينا صلى الله عليه وسلم معاذاً إمـام العلمـاء، أن يقـول دبر كل الصـلاة (اللهم أعـنى على ذكـرك وشـكرك وحسن عبادتك).

ولا يزال المؤمن مسبوغاً بنعمة اللـه، ما أكـثر شـكره، وأدام ذكـرَه، لأن الشــكر سر بقــاء النعم، وديمومتهــا، ولا أجل وأعظم من نعمة العلم، التي تشرح الفوآد، وتعز النفس وتكسب الهيبة، وتصنع المجد والبطولــة. **(قُــلْ هَـلْ يَسْــتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُــونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) (الزمر: 9)**.

وقال تعالى: **(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) (الأعراف : 176).**

فهي محل للرفعة، وموطن للرقي والعلاء..

بعد توفيق الله وامتنانه.

(10) استيعاب المخالف :

قـال تعـالى :**(أَتَقْتُلُـونَ رَجُلاً أَن يَقُـولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَـدْ جَـاءَكُم بِالْبَيِّنَـاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَـكُ كَاذِبـاً فَعَلَيْـهِ كَذِبُـهُ) (غافر: 28)**

لا يمكن لمتسع الجَنان علماً وفقهـاً واطلاعـاً، أن تضـيق روحه بمسألة خلافية أو نقاش معترض، أو جدال خصم !!

لأن العلم رحم بين أهلـــه، والحق ضـــالة الجميـــع، ولا يملكه الا من وفقه الله، وألهمه طريقه، لأن كل العلماء، يدعون الحق، وينصـرون وما يذهبون إليه بالحجة والبرهان حسب اعتقادهم.

ولكن هذه الحجج تختلف من عالم لآخر، ويشوب بعضها الضــعف أو هوان الدلالة، أو النسخ أو عدم السداد والموضوعية !!

ولـذلك لابد من عرضـها على معـايير التصـحيح والتحقيـق، بنظـرة حيادية منصفة، تنتهج قوله تعالى : **(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) (الأنعـام : 152).**

وتتمسك بقوله تعـالى **(وَلاَ يَجْـرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَـوْمٍ على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)(المائدة : 8).**

وإنما يستوعب العالم التحرير المخالف، ولو فجَّ لسانه، ونـأى بيانـه، بفضل السعة العلمية، والنباهة، التي أورثها العلم إيــاه وحرصه على التعليم والتعلم والاستفادة.

ولذلك أُمرنا بالحوار ومجادلة الذين لا يفقهون، وإقامة الحجج عليهم كما قال تعالى: **(وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل : 125).**

وقوله تعالى : **(قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) (هود : 32).**

وقوله ســبحانه : **(وَلاَ تُجَـادِلُوا أَهْـلَ الكِتَــابِ إِلاَّ بِــالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) (العنكبوت : 46).**

وقوله : (جَاهِــــدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَــــافِقِينَ وَاغْلُــــظْ عَلَيْهِمْ) (التحريم : 9).

وقوله : (وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان : 52).

والمجادلة هنا إحساس بمسئولية العلم وبيان الحق، وحرص على إصابة الطريق، وهو دليل السعة والانبساط، ومتانة الفكر، لأن الضيق والعجرفة، ونبذ الخصوم، دليل الضعف، والهزيمة النفسية والفكرية.

وأما الاستيعاب للمخالفين، ونقاقشهم ونقدهم، فهو آية الشجاعة والقوة، والبلوغ البرهاني.

(11) السعة العقلية :

قال تعالى : **(قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ)** **(يونس: 101).**

من أثمن ثمرات العلم والاطلاع الواسع، سعة العقل وانبساط أفيائه، إلى درجة الوعي والذكاء، وحسن العرض، والنقد، والتعاطي.

ولا يزال عباقرة القراءة ينصون على أن أهم مقاصد القراءة هي (توسيع دائرة الفهم)، وجعل الفكر فضاء فسيحاً، لا يضيق بالعلم والمخالفة والنقد والتعقيب، والمصارحة والنقاش.

ومن لم تورثه القراءة الوسيعة سعة العقل، وامتداد الفكر، والمرونة الذهنية فلم يرتقِ ولم ينهض، وسيظل جامداً منغلقاً طيلة حياته، وسينعكس ذلك بالسلبية على أقواله وكتبه ومحاضراته !!

إن نورانية العلم تضخ في مساحة العقل، لتجعل منه حدائق ممتدة، وجناناً طويلة بعيدة، تستوعب كل قضية، وتحسن التعامل مع كل موقف.

<u>وهذه السعة العقلية فوائدها مايلي</u> :

1) استيعاب المخالف، علمياً، وفكرياً، ومنهجياً، والأخذ والرد معه، والكر والفر.

2) حسن تناول الموضوعات وجودة عرضها.

3) تحليل القضايا، وفك رموزها وأغلالها.

4) فهم الحق، وطرق الوصول إليه.

5) تجاوز تعقيدات التعصب والغرور والاستبداد، والانفتاح على الجميع علماً واستدلالاً، وحسن تقرير واستنتاج.

6) القدرة على المناظرة الشرعية والفكرية، وكبح جماح العقلانـيين، والعصـرانيين الـذين لـديهم مشـكلات مع النص الشرعي والتراث عموماً.

7) حسن اســتعمال النصــوص الشــرعية، وتوظيفها في العلم والبحث والدعوة والاستدلال.

8) حيازة الحكمة، وتقلد زمامها، بحيث ترى ملامحها على كلماته وأقواله ومواقفه.

وغــير ذلك من الفوائد ، الــتي ينعم بها واســعو الاطلاع، والأعلام التي الناخزون للكتب، الباقرون لكنوزها ومعادنها النفيسة.

وإلا فما قيمه الانبساط العلمي حينئذ وكثرة القـراءة، وجـرد الكتب، وتأسيس المكتبات الممتدة، إذا كان صاحبها لا يزال محدوداً وضيقاً، ولا يريد فتح أمداء عقله، والنهوض بميادين فكرة وتأمله.

إن عملية التدبر القرآنية، طريق عجيب للسعة العقلية، وباستمرائها واستلذاذها وتكثيف نشاطها، بحيث يبيت القارئ المطلع، على درجة كبيرة من الوعي والمرونة والانبساط العقلي، الذي حُرِمه كثــير من الناس، والله الموفق.

(12) تجاوز العوائق :

قــــال تعــــالى: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجـــاً (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) (الطلاق: 2-3)**

والمـــراد هنا أن لســعة علمه الوفــير، لا يقف أمامه عــائق، ويتجاوز كل معضلهُ، بفضل توفيق الله له، وما أمده من علم وفقــه، وبصيرة ، وهذا العائق إن كـان علميـاً تجـاوزه برسـوخه، وقـوة كتبه ودقتــه، وإن كــان ابتلائيــاً تجــاوزه بالصــبر والاحتســاب، وحسن المواجهة، بحيث لا يبيع دينه، ولا يهتك ستر نفسه، ولا يعرضـها للبلاء الغاشم، بل يراعي الأمور ويبينها على هدى من الله وبصيرة.

ولا يــزال الله يحفظ عبـاده، ويحرسـهم بكلاءته ورعايتـه، كما قـال ســبحانه **(إِنَّ اللَّهَ مَـعَ الَّذِينَ اتَّقَـوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِـنُونَ) (النحل : 128)**.

وقال : (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة : 249).

وقـــال عز وجل : (إِنَّا لَنَنصُـــرُ رُسُـــلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُـــوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) (غافر : 51).

وكذلك حين الابتلاء الشديد، يقـرأ الموقف المزمع صـنعه، من جميع الجهـات فلا يضر بالـدعوة، ولا يسـهم في القضـاء عليهـا.. بل ينتهج الحكمــة، ويســأل الله الفتح، ويســير ســيرة الأنبيــاء المصــلحين : **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (الأنعام :90).**

وقال عز وجل **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ) (الأحزاب : 21).**

وإنما تجـاوز الأعلام والعوائق بفضل ما يحملـون من علم الله وشرعه، وصدقهم فيه، وتنـويره لبصـائرهم، بحيث لا يكادون يزلون أو يغالطون.

كما قال في الحديث القدسي :

(فـإذا أحببته كنت سـمعه الـذي يسـمع بـه، وبصـره الـذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله الـتي يمشى بهـا، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه).

وقد حفظ عن الإمامين المهـديين أبي حنيفة والشـافعي رحمهما الله قولهما..

(**إذا لم يكن أولياء لله، فليس لله ولي)** !!.

ومن العوائق، الفتن الملتبسة التي لا يعرفها أكثر الناس، وإنما يمهرها العلمــاء الراســخون، والمتصــلون باللــه، والفائضة قلــوبهم خشية وإنابة لله رب العالمين.

وإنما يهتــدون إليهــا، لحسن صــلتهم بالله تعــالى، واســتدامه تعلمهم، وطـول بـاعهم في الفقه والخـير والمعرفـة، وهم من يُعبَّر بهم **(الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)**

ولا ارتبــاب أنه من أســباب الرســوخ ومعالمــه، البســطة العلميــة، والسعة المعرفية، والله يؤتي فضـله من يشـاء، ويسـبغ رحمته على من يريد من عباده.

(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَـةٍ فَلاَ مُمْسِـكَ لَهَا) (فـاطر : 2).

(13) الثقة الإيمانية :

قال تعالى : **(وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) (الأحزاب : 22).**

لأن الإيمـان يزيد بالطاعـات، ويتـوهج بالقربـات، وأجل قربة تزيـده وتضاعف من يقينه طلب العلم الشرعي والاستزادة الطاغية منه.

وكما قال سفيان الثـوري رحمه الله (ما عبـدا لله بأفضل من العلم).

ومن أسرار العلم والقـراءة، احتواؤها على كثـير من الخـبرات، وأن نفعه متعـدٍ يتجـاوز الـذات والمكـان والزمـان، ولـذلك سـعى فيه العقلاء، وطلبة المسـارعون (وَفِي ذَلِـكَ فَلْيَتَنَـافَسِ الْمُتَنَافِسُـونَ) (الطففين 26).

ولـذلك يرسخ الإيمـان ويثبت بـأدنى شـعلة من العلم، فكيف بالـذي يجعلها مشاعل بل أنواراً ومفاتيح سارية في جسده، تحييه وتباركـه، إلى أن يقع على حقائق إيمانية، ترسخه الجبال، وتبلغه مقـام الـدور العالية، والأنهار الجارية.

وهذه الثقة الإيمانية هي ما يمكن أن نسميها (الاطمئنان القلـبي) الـذي لا تهـزه العواصـف، ولا ترهبه التحـديات والمخاوف.

وفوائدها كالتالي :

1) **استيقان مجيئ الوعد الإلهي، بظهور هذه الأمـة، وأن العاقبة لها، مهما اشتد الوهن، وتفاقمت المأساه**.

2) الحيوية في العلم، وعـدم اليـأس والكلـل، اسـتناداً لقوله تعالى (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) (البقرة : 62).

3) **الشعور بالسعادة والحياة الطيبـة، الدافعة للتـدريس، والتربية، وصناعة المؤلفات.**

4) **وعي وضعية الأمـة، وضـخامة ما يُخطَّط لها من مكائد ورزايا (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَـاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَـرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (البقرة : 217)**.

5) **تثبيت العامة على الإيمان والصبر، وضرورة العمل للدين، وأن النصر** قادم، والبشرى دانية **(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ)(يوسف: 111).**

وكم لله من عسر ويسرٍ :. وكم لله من فرج قريبِ ؟!

(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً) (القصص:80).

6) **الاحساس بالشجاعة، وقوة القلب والروح، بحيث لا يخاف، ولا يضعف** ولا **ينهزم (فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا) (آل عمران:146)**.

وهذه خصلة يحوزها العلماء، الثقة بما عندهم من الخير والعلم، واستيقان موعود الله ونصره، وفرجه وفتحه، لا سيما الراسخون، المتعمقون منهم، وتفوت الجهلة، والعامة، ومحدودي العلم والفكر.

تم الكلام على منائر البسطة العلمية، التي هي مأمول كل محب للعلم، سائلاً المولى الكريم أن يبلغنا رضاه، وأن يمنحنا من فضله ورحمته إنه جواد كريم..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه..